سميح سمارة

الضفة الغربية
وجدل الداخل والخارج

هناك اعتبار عام يقول ان المستقبل الخاص بالأراضي المحتلة يشكّل نقطة تقاطع رئيسية بين العديد من القوى السياسية الفاعلة في العالم، ومن المراقبين والمهتمين بالتدقيق في مصير هذه الأراضي والاتجاه الذي سيأخذه، وذلك لأهمية الموقع الذي تحتله هذه القضية في المعادلة العامة لقضية الشرق الأوسط، ولتقاطع المصالح الخاصة بهذه القوى وتأثرها، بالضرورة، بشكل المستقبل الفلسطيني وماهيته.

في هذا السياق لا بد أن تتقاطع، أيضاً، نقاط الاتفاق ونقاط الاختلاف: تتجانس المواقع في لحظة ما، وفجأة تتناقض: تستقر الصورة العامة في لحظة، وفجأة تنفجر. وهكذا تتداخل المعطيات: معطيات الواقع الحالي ونواقصه وحجمه في التأثير على المسار العام للأحداث، ومعطيات المستقبل أو ماهية المراحل التي سيقطعها فرقاء الصراع، وحسابات المكاسب والخسائر عند هذا الطرف أو ذاك.

لكن، وفي الغالب، تجري الاستعاضة عن التناقضات في مثل هذا الجدل القائم، بابراز المسلمات، أو التي تحولت إلى مسلمات بفعل نضالات هائلة. لا نقول أن الشعب الفلسطيني وحده هو الذي حققها، لكنها المنطقة العربية كلها التي تدرك – وان ببطء – ان إمكانية الفصل بين مستقبل هذا الشعب ومستقبلها باتت مستحيلة فعلاً.

ولعل أبرز هذه المقولات – المسلمات التي لم تعد تثير جدلاً في العديد من الساحات، وتضاءل الجدل حولها على الساحة الدولية، هي مسألة الالتفاف الجماهيري شبه المطلق سواء في فلسطين أو في الشتات الفلسطيني، حول منظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني في كل مواقعه وقطاعاته. هذه المقولة تظهر عقبة فعلية في وجه المخططات المعادية، مضمونها الرئيسي هو ان كل محاولة للقفز عن نقطة التقاطع المركزية في المنطقة، الشعب الفلسطيني، لن تجد مصيراً لها غير الانهيار، وهو ما وجدته وتجده محاولة كامب ديفيد.